

المولد والدار، إلا تكن له صحبةً أو هجرة، فإنه لا بُدَّ قد عاصَرَ وَغَزَا واستظلَّ في معارك  
الفتح بلواء الفوج الأول!

وكان عظيمَ القدرِ عند أمراء بني أمية في الشام، فهو جليسههم وجارهم ما أقام  
بدمشق، فإذا بدت له الرحلة إلى أيِّ بلد من بلاد الإسلام، لم تزل صلاتُهم وعطاياهم تَرُدُّ  
عليه حيث كان، على أَنَّ أمير المؤمنين عبد الملك ° كان أكثرهم عطفًا عليه وصلاتٍ إليه،  
وكان يقول له: لسنا نحاول اصطناعك بهذا يا أبا داود، بل أنت اصطنعتنا بخالص ولائك  
وكريم بلائك؛ لنصرة بني مروان ...

وتكاملت الحلقة، وأخذ أبو داودَ يتنقل بالناس في قصصه من فن إلى فن، ومن وادٍ إلى  
وادٍ، فهو حيناً في البر، وحيناً في البحر، وطوراً على ظهر البادية، وتارة في ظل حصن من  
حصون الروم، في المغرب أو في المشرق، وأونة في سهول الجزيرة، وفيافي العراق يصف  
كيد الخوارج<sup>٦</sup> وتطاحن الفرق ... ثم قال:<sup>٧</sup>

ضَلَّ من فتنته دنياه عن دينه، وشغلته أولاه عن آخرته، وأزله الشيطان فأذله،  
وأطعمه السلطان فأضرعه! ...<sup>٨</sup> ألا إِنَّ قوماً في بعض الأمصار — غفر الله  
لهم — قد زَيْنَ لهم الباطل، فشرعوا سيوفهم لحرب أمير المؤمنين، يَأْبُونَ —  
بزعهم — أَنْ تكون هِرَقْلِيَّةٌ<sup>٩</sup> يتوارثها خلفٌ عن سلف، فهلاً شرعوا سيوفهم  
هذه لحرب هرقل، ودكَّ معاقل الكفر في بلاده، ونشر دين الله في الأرض ...

° عبد الملك بن مروان: من خلفاء الدولة الأموية، وأبوه مروان بن الحكم، رأس الدولة المروانية، فرع من  
بني أمية ...

<sup>٦</sup> الخوارج: فرقة من المسلمين، خرجوا على طاعة علي بن أبي طالب، وحاربوا بني أمية، وكان لهم شأنٌ  
في تاريخ الإسلام.

<sup>٧</sup> نموذج من أحاديث القصاص.

<sup>٨</sup> أضرعه: أذله وأخضعه.

<sup>٩</sup> هِرَقْلِيَّةٌ: نسبةٌ إلى «هرقل»: من ملوك الروم؛ أي ملوكية وراثية.